الاستنساخ اللساني

(Clonage linguistique)

باني عميري - جامعة الجزائر 2

ملخص:

تثير اليوم الظاهرة اللسانية المعروفة في العربية **بالاقتراض** وفي الفرنسية بـ *l'emprunt* اهتماما بالغا لدى الباحثين اللسانيين و الترجميين (trductologues) في أنحاء العالم لانتشارها بفعل المعلومة المعولمة، و الترجمة المعممة ، وبفضل الثورة التكنولوجية في مجالي الإعلاميات (informatique) و وسائل التبليغ و الاتصال.

ولأهمية الدور الذي تقوم به هذه الظاهرة في حوار الحضارات وفي تقبل الأنا للآخر، أعاد الباحثون النظر في طبيعتها و تسمياتها، ويندرج مقالنا في هذا المسعى حيث نقوم بمقاربة جديدة لهذه الظاهرة اللسانية العالمية التي نطلق عليها اسم **الاستنساخ اللساني** (clonage linguistique) مستعينين في تحليلنا و طروحاتنا بمعطيات **علم الأحياء**(biologie) وبعض مصطلحاته. وسيتبين للقارئ من خلال التحليل الذي نقوم به أن هذه الظاهرة التي تسمي **اقتراضا** ما هي إلا **استنساخ لساني** شبيه إلى حد بعيد **بالاستنساخ البيولوجي**.

Résumé :

Nous évoquons dans cet article le problème de *l'emprunt* (en arabe الاقتراض) très en vogue actuellement auprès des chercheurs linguistes et traductologues du fait de sa propagation croissante grâce a l'information mondialisée, à la traduction généralisée et aux progrès technologiques dans les secteurs de l'informatique et de la communication.

En raison du rôle majeur joué par l'emprunt dans le dialogue des civilisations ainsi que dans l'acceptation de l'autre, les chercheurs ont été appelés à reconsidérer, non seulement sa nature mais aussi sa ou ses dénominations terminologiques.

Notre démarche s'inscrit dans le cadre d'une approche nouvelle visant à mieux cerner ce « phénomène linguistique universel » que nous dénommerons *clonage linguistique* (استنساخ لساني) en nous aidant, au cours de nos investigations et analyses, des données et de la terminologie de la *biologie*.

Ainsi nous espérons que le lecteur s'apercevra à travers cet article que ce phénomène appelé *emprunt* n'est rien d'autre qu'un *clonage linguistique* très proche du processus dénommé *clonage biologique*.

توطئة:

نسعى في مقالنا هذا إلى القيام بمقاربة جديدة لظاهرة عالمية هي **الاستنساخ اللساني**، أي ما جرت العادة على تسميته في العربية بـ " **الاقتراض**" وفي الفرنسية بـ" *l'emprunt*" ، ونستعين في طروحاتنا بمعطيات **علم الأحياء** *la biologie* وببعض مصطلحاته.

واعتماد مصطلحات من **علم الأحياء** و **العلوم الطبية** بصفة عامة في دراسة الظواهر اللسانية ليس بدعة، فقد سبق أن استعمل أب اللسانيات **فرديناند دوسوسور** *Ferdinand de saussure* في **دروسه**[1] المصطلح *sémiologie*[2] واستعمل اللساني البنوي **إميل بنفينيست** *Emile Benveniste* المصطلح *synapsie*[3]. وإلى جانب هذين المصطلحين وغيرهما نجد في اللسانيات مصطلحات كثيرة تنتمي إلى العلوم الطبية نذكر منها المصطلحين: *hypostase*[4] و *syncope*[5].

كما لا يخفي على اللسانيين أن **الصوتيات الفيزيولوجية** *physiologique*[6] *phonétique* وهي ما يعرف أيضا **بالصوتيات الأدائية** *phonétique articulatoire*[7] (وهي فرع من فروع اللسانيات)، تشترك في عدد من مصطلحاتها مع **علم وظائف الأعضاء** *physiologie* الذي يندرج ضمن **العلوم الطبيعية**.

وكلمة "**استنساخ**" كلمة استعملت في العربية منذ أمد بعيد بمعنى "كَتْبُ كتابٍ من كتاب. وفي التنزيل: إنا كنا **نستنسخ** ما كنتم تعملون؛ أي نستنسخ ما تكتب الحفظة فيثبت عند الله؛ وفي التهذيب: أي نأمر بنسخه وإثباته"[8].

كما اكتسبت الكلمة معاني أخرى منها أخذ صورة لوثيقة ما، و **استنساخ** (*Clonage*) **كائن حي من كائن حي آخر بواسطة إجراءات بيولوجية معينة** ، أما نحن فقد أطلقنا هذا المصطلح على **ظاهرة لسانية حية مشتركة بين جميع الألسن شبيهة بالاستنساخ البيولوجي**.

الاستنساخ اللساني، تسمياته وحقيقته:

لقد قيل قديما: "الإنسان اجتماعي بطبعه"، وهذا الطبع هو الذي دفع الجماهير الإنسانية إلى الاحتكاك بغيرها، وبمجرد أن تتحدث هذه الجماهير المحتكة لغات مختلفة يحدث بينها تأثير وتأثر؛ ذلك أن التعدد اللغوي يتسبب في **انعدام لغة أسمى**[9]، وفي قصور اللغات المختلفة عن التعبير أحيانا، فتلجأ إلى تبادل مستنسخات بعض الكلمات، أو مستنسخات بعض الخاصيات للتغلب على هذا القصور، ومعنى هذا أنه **لا مناص من لجوء جميع اللغات إلى الاستنساخ**.

وقد أطلق في الفرنسية على كل **مستنسخ** من تلك الكلمات المتبادلة المصطلح " emprunt" وفي العربية الحديثة المصطلح "**مقترض**" وهو توليد معنوي أو ترجمة حرفية للمصطلح الفرنسي.

أما العرب القدامى فقد أطلقوا طائفة من المصطلحات على هذه المستنسخات منها: **الدخيل** و**الغريب** و**الأعجمي** و**المعرب** ...، وأضاف المتأخرون مصطلحات أخرى منها: **المقتبس** و**المنقول**...وكاد

المعاصرون أن يستقروا على مصطلحين هما: **المقترض** و**المعرب** بالنسبة للكلمة المستنسَخة، و**الاقتراض** و**التعريب**[10] بالنسبة لعملية الاستنساخ.

وعلى الرغم من أن الفرنسية والعربية لجأت ا في وضع مصطلحيهما إلى **أسلوب توسيع المعنى** *extension de sens* أو إلى ما نسميه نحن **بالاستنساخ الداخلي** وهو ما يعرف أيضا في الفرنسية بـ : *l'emprunt interne*، وفي العربية **بأسلوب التوليد المعنوي** وهو أسلوب من الأساليب المعتمدة في وضع المصطلحات في اللغتين العربية والفرنسية على حدّ سواء، فإننا نرى أن المصطلحين " **اقتراض**" و"*emprunt*" يحتاجان إلى مراجعة، لأن المعطيات الجديدة في أي ميدان من ميادين البحث المرتبط بعضها ببعض تشجع على إعادة النظر فيما سبق من بحوث، وفيما وظف من مصطلحات، إذا كانت ترجى فائدة من إعادة النظر هذه، وهنا يكمن سر تواصل البحث وتطوره.

وقد انتقد **لويس– جان كالفي** *Louis-Jean Calvet* المصطلح الفرنسي " *emprunt*" ورفضه على أساس أن الشيء المقترض يرجع عادة [إلى صاحبه] أو يعوض نقدا.

"Un emprunt est normalement restitué ou remboursé " [11]

لذا اقترح **كالفي** المصطلح[12] *mot voyageur* بدلا من "*emprunt*" وإذ نوافقه على رفضه المصطلح "*emprunt*" ونرفض للسبب نفسه مكافئه العربي "**المقترض**"، فإننا تعترض أيضا على المصطلح الجديد الذي اقترحه أي le *mot voyageur*، (على الرغم من انطوائه على صورة بلاغية معبرة) لأن المسافر يغادر مكانه إلى مكان أخر (وقد يعود إلى مكانه الأول) ولا يمكنه أبدا أن يتواجد بعدة أماكن في وقت واحد، بينما **مستنسخات الكلمات المتبادلة بين اللغات المختلفة هي مستنسخات (*clones*) كلمات لم تبرح مكانها أي لغتها أو لغاتها الأصلية، بالإضافة إلى أن بعض هذه المستنسخات تتكيف مع اللغة المستنسخة لها (كما يتكيف الكائن المستنسخ حيا كان أو نباتيا مع البيئة التي يتواجد فيها) فتكتسب بعض خصائصها وتتلون بألوانها إلى أن تصبح أحيانا في صيغة توهم بانعدام كل علاقة بينها وبين الكلمات المستنسَخ منها**[13]**، ولهذا لا تصح تسميتها "مقترضات" ولا "كلمات مسافرة".**

إن ما يسمى في العربية المعاصرة "اقتراضا" وفي الفرنسية " *emprunt*" ما هو في الحقيقة إلا قيام لغة باستنساخ وحدة معجمية أو خاصية لسانية [14] موجودة في لغة أخرى ولا تملكها هي، فتسعى إلى أخذ مستنسخ منها حتى تتمكن من التعبير عن تقنية جديدة أو مفهوم مجهول لديها ، ففي الميدان الاقتصادي مثلا، كثيرا ما تستورد البلدان الأشياء ومستنسخات الكلمات الدالة عليها، وبعبارة أخرى، تستورد الأشياء ومستنسخات مسمياتها.

وقد يتم الاستنساخ لأسباب أخرى منها: **مداعبة اللغة بالتلاعب بألفاظها، أو السعي إلى إحداث أثر أسلوبي بالمحافظة على الصبغة المحلية للنص الأصل، كما يحدث عند ترجمة النصوص الأدبية المشحونة بموروث ثقافي.**

و يستدعي المقام أحيانا استعمال كلمة مستنسخة على الرغم من وجود مكافئها في اللغة المستنسِخة لانطوائها على إيحاء خاص ملائم لذلك المقام. ويذكر أن **الرسول صلى الله عليه وسلم** كان يميل إلى

استعمال هذا النوع من الكلمات المستنسخة من الفارسية، فقد جاء في **لسان** العرب: "...وفي حديث جابر بن عبد الله الأنصاري: أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال لأصحابه: قوموا، لقد صنع جابر **سورا**؛ قال أبو العباس: وإنما يراد من هذا أن النبي، صلى الله عليه وسلم، تكلم بالفارسية، صنع **سورا** أي طعاما دعا الناس إليه" [15] أي صنع وليمة.

ونحن نرى أن **الرسول صلى الله عليه وسلم** ما كان ليلجأ إلى الكلمة المستنسخة "**سور**" لولا أنه وجد فيها ما يعبر بدقة عن المقام الذي استعملها فيه، وإلا فما المانع من استعمال مكافئها العربي "**وليمة**" الذي تكرر ذكره في الحديث؟ فقد جاء في **لسان العرب** أيضا: "وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، لعبد الرحمان بن عوف وقد جمع إليه أهله: أولم ولو بشاة أي اصنع وليمة، وأصل هذا كله من الاجتماع، وتكرر ذكرها في الحديث"[16].

و ينصب الاستنساخ عادة، على **الأسماء ونادرا ما تستنسخ الصفات والأفعال، كما توجد في جميع اللغات ظواهر لغوية صلبة مستعصية لا يطالها الاستنساخ، كأسماء العدد، والعلامات الصرفية غير الملموسة**، لأن بعض هذه العلامات تطرح صعوبات، لهذا **لا تستنسخ سوى اللفظات الشكلية المحددة بدقة**، فجمع التكسير في اللغة العربية مثلا، لو استنسخته الفرنسية لاضطرت إلى **تلقيحه** بعلامات الجمع الفرنسية كي تميزه عن المفرد، وهو ما يتنافى ومنطق اللغة، فالكلمة لا تجمع في آن واحد الجمع نفسه مرتين؛ لهذا عندما استنسخت مثلا الكلمات العربية " **قاض**" و "**مملوك**"، و"**وال**" فحصلت على "*cadi*" و"*mamelauk*" (أو "*mamluk*") و"wali"، تخلت عن صيغ جموعها: " **قضاة**" و "**مماليك**"، و "**ولاة**"، فقالت:

(des) cadi(s), (des) mamelouk(s), et (des) wali (s). [17]

وإذا كان منطق اللغة يستدعي استنساخ المفرد أولا ثم توليد الجمع منه عند تطبيق قواعد اللغة المستنسِخة، فإن هذه اللغة تعجز أحيانا عن استيعاب قواعد اللغة المستنسخ منها، فقد تستنسخ كلمة من الكلمات في صيغة الجمع إذا كان تواتر استعمال هذه الصيغة أكبر من تواتر استعمال صيغة المفرد للكلمة نفسها، وتعامل صيغة الجمع هذه معاملة المفرد، ومثال ذلك استنساخ الفرنسية للكلمة العربية الهجينة "بني وي وي" وقولها:

(Un) beni – oui – oui[18]

Des Beni – oui – oui

وقد تُستنسخ صيغتا المفرد والجمع دون التفريق بينهما في الاستعمال، ومثال ذلك في الفرنسية:

Un targui[19]

(un) touareg

الاستنساخ اللساني ظاهرة قديمة:

لا تقتصر ظاهرة الاستنساخ اللساني على العصر الحديث كما يعتقد سواد الناس، فقد عرفته مختلف اللغات منذ عصور موغلة في القدم، بفعل احتكاك الأفراد والشعوب المتجاورة المتحدثة بلغات متباينة، وبفعل التبادلات الثقافية والاقتصادية والسياسية... وتنتج عن كل احتكاك **استنساخات جماهيرية واستنساخات علمية**.

1 – **الاستنسخات الجماهيرية** : من أمثلتها استنساخات الفرنسية الخاصة بالأقدام السوداء [20] Les Pieds-Noirs من الدارجات العربية المغاربية نذكر منها:

– **2**Arbi, baroud, bled, caïd, chouia, gourbi, kif-kif ou kif kif, toubib…

المستنسخات العلمية : من أمثلتها استنساخات اللغات القديمة (وهي **اليونانية و اللاتينية و الآرامية والسريانية و الفارسية و التركية)** وغيرها.. من اللغة العربية وخاصة في ميدان الطب والكيمياء والفلك والرياضيات، والشيء نفسه وقع في الاتجاه المعاكس، أي أن العربية استنسخت كلمات من تلك اللغات ومن غيرها ورد بعض منها في **القرآن الكريم**، ونضرب لها مثلا بكلمتي **إنجيل ودراهم** (يونانية)، وكلمة **قلم** (لاتينية)، وكلمتي **سندس واستبرق** (فارسية)، وكلمة **ملكوت** (سريانية)...

وليس هذا الأمر بغريب، لأن تلك الكلمات كانت قد أدمجت في اللسان العربي، وصارت متداولة فيه، وهذا اللسان العربي هو الذي أنزل به القرآن الكريم، إذ يقول سبحانه وتعالى: "وإنه لتنزيل رب العالمين؟....**بلسان عربي** مبين؟"[21].

وإذا كانت **ظاهرة الاستنساخ اللساني هذه تثير اليوم لدى الباحثين اللسانيين و الترجميين** traductologues **اهتماما بالغا في أنحاء العالم لانتشارها المتزايد بفعل المعلومة المعولمة، والترجمة المعمّمة، وبفعل الثورة التيكنولوجية في مجالي الإعلاميات** informatique **ووسائل التبليغ و الاتصال**، فإن علماء اللغة العرب القدامى توقفوا مليا عند هذه الظاهرة، وتناولوها بالدراسة فحللوها وعلقوا عليها، وألفوا فيها كتبا قيمة نذكر منها:

- **غريب القرآن** لعبد الله بن عباس،
- **المعرّب من الكلام الأعجمي**، لأبي منصور موهوب الجواليقي،
- **المهذب فيما وقع في القرآن من العرّب** لجلال الدين عبد الرحمان السيوطي.
- **شفاء الغليل فيما وقع في كلام العرب من الدخيل**، لشهاب الدين أحمد الخفاجي.

المستنسخات ونفوذ الحضارات:

يرتبط نجاح المستنسخات التي تثبتها اللغة بالحكم الجماعي للمتكلمين على الحضارات التي تمثلها هذه المستنسخات، فتلك المتبادلة مثلا بين ا **لعربية** واللغات **اليونانية** و**الفارسية** و **التركية** في عصور خلت ، تشهد على عظمة البلاد العربية من جهة، وبلاد اليونان وفارس وتركيا آنذاك من جهة أخرى.

كما أن المستنسخات التي أمدت بها **العربية** لغات أوروبية كا **لإسبانية** و**الفرنسية** و **الإيطالية** في عصورها الوسطى، لخير شاهد على أن الحضارة العربية كانت قد بلغت آنذاك أوج نفوذها.

أما في القرنين العشرين والحادي والعشرين، فإن شهرة **الحضارتين الأمريكية** و **الفرنسية** ونفوذهما الاقتصادي والثقافي ليشرحان التغلب الكمي للمستنسخات ا **لإنجليزية** و **الفرنسية** التي أثرت اللغة **العربية** وغيرها من اللغات، ولن يخالفنا أحد الرأي إن قلنا إن جميع اللغات لا يمكنها اليوم الاستغناء في ميدان الإعلاميات وميدان التبليغ والاتصال، عن الاستنساخ من **الإنجليزية الشاملة المبسطة** المعروفة بـ *globish*؛ ومعنى هذا أن اللغات تتجاذب فيما بينها تماشيا مع وزنها الثقافي والاقتصادي والسياسي، **وإذا تماثل نفوذ اللغتين المحتكتين، فإن هذا التماثل يقي منظومتيهما من الاستنساخ الغالب.**

الكلمات المستنسخة قديما وحديثا:

تكشف صيغة الكلمة المستنسَخة حديثا عن أصلها، فلا أحد منا يجهل مثلا أن الكلمتين " **أنترنيت**" و"**كومبيوتر**" استنسختهما العربية من **الإنجليزية**.

كما أن جميع الفرنسيين يدركون أن الكلمات:

living-room , western , wi – fi au wifi

كلمات مستنسخة من **الإنجليزية**.

أما الكلمات المستنسخة قديما فقد اندمجت في اللغة المستنسِخة، ولا أحد يفكر اليوم في أنها مستنسَخة، ومنها مثلا:

- في العربية:

أستاذ و **بابونج وبرنامج** و **بريد** و **ديباجة** و **زعفران** و **مهرجان** (فارسية) و **دير**(سريانية) و**ريال** (إسبانية)، و**سكر** (فارسية أو هندية)، و **استخارة** و**أسطول** و**درهم** (يونانية) و **اسطبل** (لاتينية)، و**طبشورة** و**منارة** (تركية).

- في الفرنسية:

Abeille , alcool , algèbre ,ange, jarre, gazelle, rail, théorie, zénith[(22)] ...

وتعرف جميع اللغات مستنسخات ناتجة عما يسمى **استنساخ الكفاءة** clonage de compétence و مستنسخات ناتجة عما يسمى **استنساخ اللاكفاءة** clonage d'incompétence ويلجأ إلى الاستنساخ الأول المتكلمون المالكون كفاءة عالية في اللغتين المستنسِخة والمستنسخ منها المدركون لأسرارهما، وتمثله المستنسخات العلمية القديمة منها والحديثة.

أما الاستنساخ الثاني وهو عكس الاستنساخ الأول فيتم اللجوء إليه عند العجز التام عن إيجاد مكافئ بعض الكلمات الأجنبية في اللغة المنقول إليها، فتستنسخ تلك الكلمات تدرج في هذه اللغة، فهو إذن استنساخ ناتج عن الجهل بأسرار إحدى اللغتين أو بأسرار اللغتين معا، إلا أن **التراجمة** *interprètes* **قد يلجأون إلى هذا النوع من الاستنساخ تحت طائلة التعب والإرهاق.**

المستنسخات الضرورية و غير الضرورية:

تحتوي جل اللغات على مستنسخات ضرورية ومستنسخات غير ضرورية.

1 – المستنسخات الضرورية : هي مستنسخات تشتد الحاجة إليها كلما كانت حضارتا اللغتين المحتكتين متباينتين، وهي مستنسخات مفروضة لأنه يصعب إيجاد مكافئ لها في اللغة الوطنية أو القومية. ومن هذه المستنسخات بالإضافة إلى التي سبق ذكرها:

في العربية:

أدرينالين و**أسيتيلين** و**فيلم** و**ماستر** (إنجليزية)، و**اسفنج** و**هيدروجين** (يونانية)، و**أوكسجين**، و**دكتوراه** و**ليسانس** و **قلم** (لاتينية) و**بطاقة** (آرامية) والقائمة طويلة...

في الفرنسية:

azote , azimuth ,fraction ,film, master ,nadir, safran ,tabac[23]...

وتندرج جميع هذه المستنسخات في **استنساخ الكفاءة**.

2 – المستنسخات غير الضرورية: هي مستنسخات لا تضيف شيئا إلى اللغة المستنسِخة، ويمكن تعويضها بكلمات أصيلة في هذه اللغة، ومعنى هذا أنها **مستنسخات زائدة** *clones superflus* ومنها في العربية:

أوتوماتيكي و **تكتيك** و **روتوشات** و **سوسيولوجيا** و **كوافير** و **مونتاج** و **نرفزة** و **نوستالجية**... وكلها مستنسخات تندرج في **استنساخ اللاكفاءة**. وفي اللغة العربية مكافئات لها يمكن استبدالها بها كما يتبين من الجدول التالي:

الكلمات المستنسخة غير الضرورية	مكافئاتها العربية
أوتوماتيكي	آلي
تكتيك	تخطيط
روتوشات	لمسات
سوسيولوجيا	علم الاجتماع
كوافير	حلاقة
مونتاج	تركيب
نرفزة	عصبية
نوستالجية	حنين

الكلمة الأصلية ومسار مستنسخاتها:

لا تستنسخ مختلف اللغات كلماتها دائما بصفة مباشرة من الأصل، وإنما قد تتخذ مستنسخاتُها مسارات أخرى، أي أن لغة ما قد تستنسخ من مستنسخ الكلمة الأصلية أو من مستنسَخ مستنسَخِها.

فكلمة **قهوة** مثلا كلمة أصلها اللغة **العربية**، وقد استنسخت منها **التركية** الكلمة *kahvé* ومن هذا المستنسخ التركي استنسخَت الفرنسية الكلمة *café* والإيطالية الكلمة *caffè*، ومن المستنسخ الإيطالي استنسخت **الإنجليزية** الكلمة *Coffee*.

ويمكن توضيح هذا المسار بالمخطط البياني التالي:

المخطط1: مسار مستنسخات الكلمة " قهوة ".

وقد تتخذ المستنسخات مسارات مغايرة تماما، فالكلمة *praecoquum* كلمة لاتينية معناها (*"fruit"précoce*)[24] أي فاكهة سابقة لأوانها، وقد استنسخت منها العربية الكلمة **البرقوق** ومن المستنسخ العربي استنسخت **الإسبانية** الكلمة *albaricoque* التي استنسخت منها **الفرنسية** الكلمة [25] *abricot* ومن المستنسخ الفرنسي استنسخت الألمانية الكلمة *aprikose* والإنجليزية الكلمة *apricot*.

ويمكن توضيح هذا المسار بالمخطط البياني التالي:

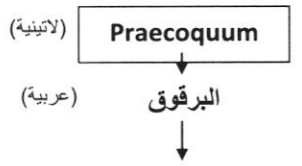

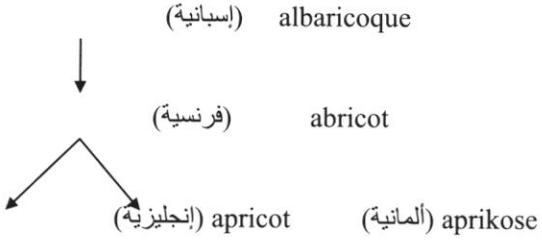

المخطط2: مسار مستنسخات الكلمة "*praecoquum*"

يتضح من مستنسخات المثالين المذكورين أن **المستنسخات اللسانية كسائر الكائنات الحية تتأثر بالبيئة التي توجد فيها أي بطبيعة اللغة التي تستقبلها ، وتحاول التأقلم معها حتى لا يصيبها التلف فتضمحلّ**، ومحاولة التأقلم هذه هي التي تجعل بعض مستنسخات الكلمة الواحدة مغايرة لهذه الأخيرة ومتباينة فيما بينها. ولا تقتصر مغايرة الأصل على التوائم المعجمية، وإنما تطال حتى مستنسخات الأسماء الأعلام فقد أصبح مثلا المستنسخ الفرنسي **لابن الهيثم** *Alhazen* ومستنسخ **ابن باجة** *Avempace*، ومستنسخ **ابن زهر** *Avenzoar* ومستنسخ **ابن رشد** *Averroès*[26] وهذا ما يتضح من الجدول التالي:

الاسم العربي	المستنسخ الفرنسي
ابن الهيثم	Alhazen
ابن باجة	Avempace
ابن زهر	Avenzoar
ابن رشد	Averroès

والمصادفة الغريبة أن هذه الأسماء التي أصاب مستنسخاتها تغير كبير تبدأ كلها بكلمة **ابن** وقد اضمحلت في المستنسخ الأول، وتحولت إلى *Avem* في المستنسخ الثاني، وإلى *Aven* في المستنسخ الثالث، وإلى *Aver* في المستنسخ الرابع.

الاستنساخ و المشتركات اللفظية المتنافرة:

يؤدي تطور اللغة إلى تطورات معنوية ينتج عنها ما يسمى في الفرنسية بـ *les faux amis*[27] ويسميه البعض الآخر *les mots-sosies*[28]، ويقصد بهاتين التسميتين ما نطلق عليه نحن اسم **المشتركات اللفظية المتنافرة**. ويصيب هذا التطور حتى الكلمات المستنسخة وتسمى عندئذ مستنسخات تقريبية *clones approximatifs* ومثال ذلك الكلمة العربية **عساسين** ومستنسخها الإيطالي *assassino*،إذ يذكر قاموس **روبير** *Robert* في تعريفه للمستنسخ الفرنسي *assassin* أن هذا الأخير مستنسخ من الكلمة الإيطالية *assassino* المستنسخة من الكلمة العربية **عساسين**، وقد تحول المستنسخ الإيطالي في بداية القرن XIV إلى *assessino* واستعمل بمعنى قاتل مأجور[29] *Tueur à gages*.

وتخالف هذا الرأي الذي قدمه قاموس **روبير** مخالفة تامة بعض الآراء القائلة بأن الكلمة الفرنسية *assassin* (ومعناها القاتل مع سبق الإصرار والترصد) مستنسخة من الكلمة العربية حشاشين جمع حشاشي *hachchachi* أي مدخن الحشيش.[30]

ويمكن توضيح التطور الذي طرأ على المستنسخ الإيطالي حسب قاموس **روبير** بالجدول التالي:

الكلمة / العصر	عربية	إيطالية
القديم	عساسين = حراس	Assassino = حارس
الحديث	عساسين = حراس	Assessino = قاتل مأجور

ويطلق أحيانا على هذا النوع من الاستنساخ اسم **الاستنساخ غير الحقيقي** *faux clonage* لأن اللغة المستنسخة تستعمل الكلمة الأجنبية المستنسخة بمعنى مخالف لمعناها الأصلي.

أنواع الاستنساخ:

يمكن تصنيف الاستنساخ الذي تعرفه جميع اللغات إلى أنواع ثلاثة هي: **الاستنساخ المعجمي الكلي** و**الاستنساخ المعجمي الجزئي** و**الاستنساخ التركيبي**.

1 – **الاستنساخ المعجمي الكلي** *clonage lexical intégral*:

هو الاستنساخ **المحض** و **البسيط للدليل اللساني** أي استنساخه لفظا ومعنى، وهو موجود في جميع اللغات ويماثل الاستنساخ البيولوجي مماثلة تامة، ومن أمثلته:

- في العربية:

ألبوم وألومينيوم وأنترنيت وأنسولين وباشا وبترول وبروليتاريا وبيانو وبيجاما ودينار ودينامیت وريال واستوديو وسلاطة وفاكس وكاميرا ولوبي ومايسترو ومهرجان ومونتاج... والقائمة طويلة.

- في الفرنسية:

Bar, cinéma, djihad, djin, foot-ball, mafioso, maffioso, master, star, tenis ،web ...

ويسمي هذا النوع من الاستنساخ في العربية استنساخا دخيلا (xénisme) لأنه لم يخضع للتعريب.

2 – الاستنساخ المعجمي الجزئي *clonage lexical partiel*:

يتم بكيفيات ثلاث هي: **التلقيح** و**البتر**، و**التلقيح** و**البتر** معًا.

2. 1 – الاستنساخ بالتلقيح *clonage par greffage*:

2. 1. 1. في مستوى اللفظ:

هو استنساخ خاصية موجودة في اللغة (أ) تلقح بها كلمة من اللغة (ب) للتمكن من التعبير عن مفهوم غير موجود في هذه اللغة، ومثاله في اللغة العربية المصطلحان اللسانيان:

صوتم و **لفظم**[31]

فقد تم استنساخ اللاحقة (*ème*) التي أعطت المستنسخ العربي (ـَم) الذي لقحت به الكلمتان **صوت** و**لفظ** وذلك على النحو التالي:

صوت + ـَم ⟵ صوتم = phonème

لفظ + ـَ م ⟵ لفظم = monème

وتم اللجوء إلى هذا الاستنساخ للتمكن من التعبير عن مفهوم **الأدنى** الذي ينطوي عليه المصطلحان الفرنسيان *phonème* و *monème* في اللسانيات الوظيفية. وواضح أن اللاحقة (*ème*) هي خاصية من خصائص اللغة الفرنسية وأجنبية عن اللغة العربية.والمكافئان العربيان القديمان لهذين المصطلحين هما **حرف** بالنسبة لـ *phonème* و**لفظة** بالنسبة لـ *monème*.

ويعتبر الصفائيون من اللغويين هذا النوع من الاستنساخ بمثابة عدوى تصيب بها اللغة (أ) اللغة (ب)، وتبرهن على مدى طغيان اللغة (أ) واندماجها في اللغة (ب)، وتسمى جميع الكلمات الناتجة عن هذا الاستنساخ كلمات هجينة *mots hybrides*، ومن أمثلتها أيضا:

صيغم *morphème* **ومعنم** *sème* و **أفرو آسياوي و إلكترومنزلي وسوسيو ثقافي وسوسيو لساني و علم النفس الإكلينيكي...**

2. 1. 2 في مستوى المعنى:

هو استنساخ لغة ما مدلول كلمة موجود في لغة أخرى ولا تملكه هي، ثم تلقح به كلمة من كلماتها لتكسبها معنى جديدا يضاف إلى مدلولها الأصلي أو مدلولاتها الأصلية، ومثال ذلك في اللغة الفرنسية

المعاصرة الفعل *calculer* الذي لقح بأحد المعاني التي ينطوي عليها الفعل العربي **حسب** وهي: **اعتبر** أو **قدّر وأخذ في الحسبان** prendre en considération، فأصبح هذا الفعل الفرنسي يستعمل في سياقات لم يكن يستعمل فيها سابقا ومنها:

- Il ne m'a pas calculé;

- cela je ne le calcule même pas.

2. 2 **الاستنساخ بالبتر** *clonage par amputation* :

هو استنساخ قائم على بتر حرف(أو أكثر) أو كلمة من الأصل المستنسخ، وتمثل هذا النوع أحسن تمثيل الكلمة الفرنسية amiral، فقد تم استنساخها من الكلمة العربية المركبة **أمير البحر** ببتر الكلمة الأخيرة منها وهي **بحر**، وذلك على النحو التالي:

AMIR AL [BAHR] *AMIRAL*

2. 3 الاستنساخ بالبتر والتلقيح *clonage par amputation et greffage* :

يتم هذا الاستنساخ **ببتر** حرف أو أكثر من كلمة **وتلقيحها** بحرف أو حروف أخرى للتمكن من إدماجها إدماجا تاما في اللغة المستنسِخة، ومثال ذلك الكلمة الفرنسية: arsenal المستنسَخة من الكلمة العربية المركبة: **دار الصنعة** ، فقد تم الاستنساخ هنا ببتر أداة التعريف والصاد الأولى التي استدعتها (ال) الشمسية والتلقيح بالحرف (L) وذلك على النحو التالي:

⟶ [D] (AR[ES] SENA+L) ARSENAL

ويرى الأستاذ **سليم بابا عمر** ، أن كلا من الكلمتين الفرنسيتين *darse* و *Arsenal* مستنسختين من تلك الكلمة العربية المركبة أي **دار الصنعة** [32].

3 – الاستنساخ التركيبي *clonage structural :*

هو ما يعرف عند **جان- بول فيني** *Jean-Paul vinay* **وجان داربلني** *Jean Darbelnet* بـ [33] *le calque*، وهو استنساخ من نوع خاص يتم بواسطته استنساخ تركيب من تراكيب لغة أجنبية مع ترجمة عناصره المكونة ترجمة حرفية، وهو نوعان: **تعبيري وبنوي**.

3. 1 **الاستنساخ التعبيري** *clonage d'expression* :

هو استنساخ نمط تعبيري أجنبي وصياغة دليلين أو أكثر على منواله، ومن أمثلته في اللغة العربية العبارة **شهية طيبة**، المستنسخة من التعبير الفرنسي: *bon appétit*، فالعرب لم يستعملوا هذه الصيغة التعبيرية وإنما استعملوا صيغا أخرى منها: **هنيئا مريئا، وبالهناء والشفاء...**

3. 2 **الاستنساخ البنوي** *clonage de structures* :

هو استنساخ بنية من لغة وإدراجها في لغة أخرى مع احترام معجم اللغة المنقول إليها، ومثاله في اللغة العربية: **ممنوع التدخين**، فهذه البنية مستنسخة من البنية الفرنسية défense de fumer، والأصل أن نقول: **التدخين ممنوع** ، لأن العربية لا تبدأ الجملة الاسمية المحضة بالخبر إلا بشروط خاصة مضبوطة.

4 – استنساخ العبارات الجاهزة clonage des expressions figées :

هو استنساخ يندرج ضمن الاستنساخ التركيبي، ويقصد بالعبارات الجاهزة تلك العبارات التي تحمل إرثا ثقافيا ولا تخضع لتغيير أو تبديل إلا في حدود ضيقة، وتستعمل في مقامات معينة ومحددة، ويتم استنساخها بترجمة كلماتها ترجمة حرفية من ذلك مثلا استنساخ العربية للعبارتين الفرنسيتين الجاهزتين:

(1) *au pied d'égalité.*

(2) *contre la montre* [34]

حيث قالت:

(1) على قدم المساواة ؛

(2) ضد **عقارب** الساعة.

وقد أدخل تغيير طفيف على المثال (2) يتمثل في إضافة كلمة "عقارب" لإزالة الالتباس، لأن كلمة "الساعة" في العربية تطلق على ما يعرف في الفرنسية بـ *montre* و *heure* بالإضافة إلى استعمالها استعمالات مجازية.

تعريب المستنسخات:

إن تعريب المستنسخات الأجنبية هو وسيلة من وسائل إدماجها في اللغة العربية، إلا أن هذا التعريب لا يخضع لقواعد قياسية صارمة وإنما يتحكم فيه أحيانا منطق الاستعمال الذي كثيرا ما يخرج عن القياس، فقد قيل مثلا:

دبلجة استنساخا لـ *doublage*

مع إخضاع الكلمة للوزن العربي **فعللة** ولكن قيل **مونتاج** استنساخا لـ *montage*. وقد اعتقدنا في البداية أن استنساخ اللاحقة الفرنسية (*age*) الدالة هنا على العمل action ، سببه عدم التمكن من صياغة الوزن فعلل من الكلمات الأجنبية المحتوية على ثلاثة حروف صوامت ومنها الفعل *doubler* الذي اشتق منه الاسم *doublage*، (وهذا بحكم أن العربية عند قيامها بعملية الاشتقاق تعيد الكلمات إلى مادتها الأصلية الخالية من المصوتات، وتطبق هذه القاعدة حتى على مستنسخات الكلمات الأجنبية) ولهذا قيل **دبلجة**، بينما يمكن صياغة كلمة على وزن **فعلل** إذا كانت هذه الكلمة محتوية على أربعة حروف صوامت، ومثالها الفعل *recycler* الذي اشتق منه الاسم *recyclage* فقيل في العربية **رسكلة**، ولكن ظهرت حديثا كلمة منحوتة مستنسخة من الكلمة الفرنسية المركبة *sous-titrage*، وهي الكلمة **سترجة** التي احتفظ فيها بمستنسخ اللاحقة الفرنسية (*age*) المتمثل في (-جَ-) دون داع إلى ذلك،لأن كلمة sous-

titrage مشتقة من الفعل المركب Sous-titrer، وهو كما يلاحظ متوفر على أربعة حروف صوامت ملفوظةهي : الحرف (S) الأول في الكلمة sous، والحرف (t) الأول والثاني في الكلمة الثانية titre، وأخيرا الحرف (r) في الكلمة نفسها. وما وقع عند النسخ هو حذف (t) الثاني وتعويضه باللاحقة (- ج -)،وفي هذه العملية خلل لأن القاعدة تستدعي التخلي عن هذه اللاحقة لأنها ليست من الحروف الأصول بمفهوم اللغة العربية، والصحيح هو القول: **ستطرة** أو **سططرة** التي تتحول بالإدغام إلى **سطرة** بدلا من القول **سترجة** الخارجة عن القاعدة، إلا أن صعوبة النطق بالكلمة العربية الخاضعة لقاعدة الاشتقاق سيحول ولاشك دون تداولها وانتشارها، لهذا تم اللجوء إلى الكلمة الهجينة **سترجة** وهي كلمة غامضة وخارجة عن القاعدة كما أشرنا، و لن يكتب لها الرواج هي الاخرى ، وأفضل حلٍ في هذه الحالة هو التعبير عن مفهوم التركيب الفرنسي sous-titrage بتركيب عربي بسيط ومفهوم وهو **العنونة التحتية.**

وخلاصة القول: إن الاستنساخ ماثل في جميع مستويات اللغات بجميع أوجهه وأنه لا مناص لها منه، وللمستنسخات دور معتبر في حوار الحضارات و في تقبل الأنا للأخر و في الترجمة أيضا، إذ تكتسي أهمية بالغة عندما يلجأ إليها المترجم إراديا على الرغم من وجود مكافئات لها (ولو تقريبية) في اللغة المنقول إليها، وذلك بغرض إحداث أثر أسلوبي في نص الترجمة، إذ بفضل هذه المستنسخات يحافظ المترجم على الطابع المحلي للنص الأصل أو على نكهته الخاصة، ومع ذلك فلابد من تحاشي اللجوء إلى المستنسخات إلا في حالات الضرورة القصوى، لأنها وإن كانت وسيلة من وسائل التواصل والتحاور في مقامات خاصة، فإن الإكثار منها يؤدي إلى نتيجة عكسية، إذ يصبح التواصل أمرًا صعبًا حتى بين أبناء اللغة الواحدة.

الإحالات:

---

(1) انظر: Ferdinand de Saussure, *Cours de linguistique générale*, Paris, Payot, 1960.

(2) انظر: Jean Dubois et al. *Grand Dictionnaire. Linguistique* et *sciences du langage*, Paris, Larousse, 2007.

(3)(4)(5)(6)(7) Idem.

(8) انظر: أبو مكرم جمال الدين بن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، مج.3، باب الخاء، د.ت.

(9) انظر: Etienne Mallarmé, « Crise de vers »,*variations sur un sujet*, *Œuvres complètes*, Paris, Gallimard, Bibliothèque La Pléiade, 1945, PP. 363 – 364.

(10) معنى **التعريب** هنا هو: نقل الكلمة الأجنبية بعد صبغها بصبغة عربية.

(11) انظر: Louis-Jean Calvet, *Il était une fois 7000 langues*, Paris, Fayard, 2011, p.113

(12) Ibidem

(13) من أمثلة هذه المستنسخات الكلمتان الفرنسيتان " amiral" و " arsenal" فقد استنسخت أولاهما من الكلمة العربية المركبة "أمير البحر" وثانيتهما من الكلمة العربية المركبة "دار الصنعة". انظر كيف تم ذلك في ص. 17 من مقالنا هذا.

(14) انظر ص. 15 - 16 من مقالنا هذا.

(15) انظر: ابن منظور، المرجع السابق، مج.4، حرف الراء، ص. 388.

(16) انظر: المرجع نفسه، مج. 12، حرف الميم، ص. 643.

(17) انظر: *Le Petit Larousse illustré* 2012, Paris, Larousse, 2011.

Le Nouveau Petit Robert de langue française 2008, Paris, Le Robert, 2007

(18) انظر: *Le Petit Larousse*, op. cit.

(19) *Le Nouveau petit Robert* ,op. cit.

(20) تطلق كلمة Les Pieds-Noirs على الفرنسيين الذين استوطنوا إفريقيا الشمالية في القرن 19 وبداية القرن 20، وننبه إلى أنها تطلق أصلا على الشعب الهندي المقيم في بعض مناطق كندا، فهي اسم علم عليهم، كما تطلق الكلمة الإنجليزية Black-Foot على الشعب الهندي المقيم بمنطقة مونتانا بالولايات المتحدة الأمريكية.

(21) سورة **الشعراء**، الآيتان: 192 – 195.

(22) انظر: *Le Nouveau Petit Robert*, op. cit.

(23) Idem .

(24) انظر: Louis-Jean- calvet, op. cit., p. 115 (25) انظر: *Le Petit Larousse*. op. cit.

(26) Idem .

(27) ظهر هذا المصطلح في الفرنسية أول مرة لدى م. كوسلير M.Koessler وج. دوروكينيي J. Deroquigny انظر كتابهما:

Les Faux Amis ou les pièges du vocabulaire anglais, 5e éd., Paris, wiber, 1961.

(28) هذا المصطلح من وضع هـ. فيسلو H. Veslot و ج. بانشي J. Bancher انظر كتابهما: *Les traquenards de la version anglaise*, Paris, Hachette, 1928.

(29) انظر: *Le Nouveau Petit Robert,* op. cit.

(30) يذكر قاموس المنجد أن لقب الحشاشين "لقب أطلق على فرقة من غلاة الإسماعية، هم النزاريون الذين استقلوا في ألموت بقيادة الحسن بن الصباح 1090. اشتهروا بتنظيمهم السري وتدبير الاغتيالات يقوم بها فدائيون متطوعون، حاربوا السلاجقة واشتد نفوذهم بعد اغتيالهم الوزير نظام الملك في نيسابور 1092..."

ومن هنا نستنتج أن كلمة "assassin" **الفرنسية قد تكون فعلا مستنسخة من هذا اللقب العربي**، لتقارب الكلمتين لفظا ومعنى.

لمعرفة مزيد من المعلومات حول الحشاشين، انظر: **المنجد في اللغة والأعلام**، دار المشرق، 2003، القسم الموسوعي، ص.221.

(31) هذان المصطلحان لعبد السلام المسدي، انظر: مؤلفه: **قاموس اللسانيات عربي-فرنسي / فرنسي – عربي**، الدار العربية للكتاب، 1984.

(32) انظر: سليم بابا عمر، "الترجمة: تأثير وتأثر"، **حوليات جامعة الجزائر**، ع. 19، ج.1، ديسمبر 2010، ص.34.

(33) انظر: Jean-Paul vinay et Jean Darbelnet, *stylistique comparée du français et de l'anglais: méthode de traduction ,Paris*, Didier, 1958, pp. 47 – 48.

(34) انظر. *Le Nouveau Petit Robert*, op. cit.

المراجع باللغة العربية:

- ابن منظور أبو مكرم جمال الدين، لسان العرب، بيروت، دار صادر، مج.3، باب الخاء، د.ت.
- بابا عمر، سليم، "الترجمة: تأثير وتأثر" حوليات جامعة الجزائر، ع. 19، ج.1، ديسمبر 2010، ص ص. 43 – 44.

- الخفاجي شهاب الدين، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، القاهرة، المطبعة الوهبية، ربيع الثاني، 1383 هـ.

- السيوطي جلال الدين، المزهر في علوم اللغة، القاهرة، دار الفكر، 1958.

- عميري باني، القاموس الأحادي والثنائي في ضوء الصناعة المعجمية (تحليل ونقد)، أطروحة دكتوراه الدولة في الترجمة، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم الترجمة، 2006، (لم تنشر).

- المسدي عبد السلام، قاموس اللسانيات، عربي – فرنسي / فرنسي – عربي، بيروت، الدار العربية للكتاب، 1984.

- المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، دار المشرق،2003.

2 – باللغة الفرنسية:

- Calvet J.-L., *Il était une fois 7000 langues*, Paris, Fayard, 2011.

- Dubois J. et al., *Gand dictionnaire. Linguistique et sciences du langage*, Paris, Larousse, 2007.

- Kœssler, M. et, Derocquigny, J., *Les Faux Amis ou les piège du vocabulaire anglais*, 5e éd., Paris, wibert, 1961.

- *Le Nouveau Petit Robert de langue française 2008*, Paris, Le Robert, 2007.

-*Le Petit Larousse illustré 2012*, Paris, Larousse, 2011.

-Mallarmé E., « Crise de vers », *variations sur un sujet, Œuvres complètes*, Paris, Gallimard, Bibliothèque La Pléiade, 1945, PP. 363 – 364.

-Saussure F. (de), *cours de linguistique générale*, Paris, Payot; 1960.

- Vaslot, H. et Bancher, J., *Les traquenards de la version anglaise*, Paris, Hachette, 1922.

- Vinay J.-P. et Darbelnet Jean, *stylistique comparée du français et de l'anglais: méthode de traduction*, Paris, Didier, 1985.